التّحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ و النشر يقدّم

:: تفريغ الدرس الصوتي ::

موقف المسلم من الفتنة



للشيخ

أبو قتادة الفلسطيني

- فك اللَّه أسره -

المدّة :39 دقيقة

مؤسسة التحايا للإعلام تقدم:

تفريغ الدرس الصوتي :

موقف المسلم من الفتنة

للشيخ:

أبي قتادة الفلسطيني

-فك الله أسره-

تم نشر هذا التفريغ في:

شعبان 1435 - يونيو 2014م

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، وتركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء والطريق الواضح، ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها إلا هالك ولا يتنكّبها إلا ضال، أما بعد:-

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينا.

أيها الأحبة في الله، لقد أمرنا ربنا جل في علاه أن نردّ التنازع كله إلى كتابه وإلى سنة النبي ﷺ، وجعَلهما المخرج من أي فتنة تقع، علِم المرء دين الله أو جهِله، فإن في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي ﷺ النجاة، ولا يعني هذا أبدًا أن ما قاله الله وما أراده وما حكم به وما قاله رسول الله ﷺ وما أراده وما حكمه مبذولٌ لكل أحدٍ في وقت الفتنة.

فالفتنة إذا وقعت تطيشُ بها العقول، ويختلط بها الصواب بالخطأ، كما أنه يختلط بها الحق بالهوى، فربما يأتي آتٍ إلى حدثٍ ما، وقع فتنة في الخلق وفتنة من الله عز وجل على عبيده، فتختلط أهواؤه بالصواب، ويتقمّص الهوى ثوب الشريعة وحكم الله عز وجل، وكذلك ربما تدخل الكثير من المؤثرات التي ليس لها دور في إثبات الحكم الشرعي أو في نفيه، فتؤثر على هذا الإنسان بتبنّيه أو باختياره أو بهداية الله عز وجل له في هذا الاختيار.

ولأضرب على ذلك أمثلة، فإن النبي ﷺ خرج يومًا في المدينة المنورة بقدومه ﷺ عليها، وقال: (إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر)

وهذه سنة الله عز وجل بعد أن يأتي الحق وبعد أن ينجلي أمره ويقوى حاله، بعد أن يفصل أهل الإيمان أقوالهم في أهل الكفر، فيرتفع شأن الإيمان ويقوى أمره، تكون بعد ذلك الفتنة.

وهذا أمر مطّرد في حياة البشرية كما أنه واضحٌ تمام الوضوح في تاريخ أمة محمد ﷺ.

فسأذكر لكم هذه الفتنة وما دخل فيها، ثم نذكر بعد ذلك فتنة أخرى وماوقع فيها بعد ذلك من الفتنة بين أهلها

-أي بين أهل الحق-

فبعد أن انتصر الإسلام وعزّ أمره وضعف الكفر، كانت الفتنة بين أصحاب النبي ﷺ بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان -رضي الله تعالى عنه-

وما وقع فيها من إراقة دماء ومن قتل المسلم لأخيه المسلم، ومن منافرة القلوب وما شابه ذلك من هذه الأمور العظام، التي مات فيها من المسلمين -أي في هذه الفتنة- أكثر مما مات على أيدي المشركين في معارك الإسلام ضد أهل الكفر.

كذلك لمّا وقعت فتنة خلق القرآن وقام لها الإمام الجهبذ العظيم أحمد بن حنبل -عليه رحمة الله- وانجلت الفتنة، وقُضي على المناوئ المخالف المبتدع الذي يقول: إن كلام الله عز وجل مخلوق! وأن الله عز وجل لا يستطيع أن يتكلم! وأن كلامه -أي هذا القرآن- هو مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، أوجدها في غيره إما في جبريل وإما في نبينا محمد ﷺ، كما زعموا أن الله عز وجل أوجد كلامه في الشجرة حين جاء موسى إلى ميقات ربه!

فبعد أن انتصر الإسلام وقُضي على الفتنة، ضُرب أهل الحديث بما ذُكر بفتنة لفظية بين أهل الحق الواحد، ونشأت فرقة تسمى بالواقفية، ذكَر شأنها ابن قتيبة الدينوري –عليه رحمة الله– في كتابه الاختلاف في اللفظ.

وذكر شأن الفتنة التي وقعت بين أهل المذهب الواحد وأهل الدين الواحد.

هذه سنة لله عز وجل تطّرد على مدار التاريخ، لا تتخلّف، لكن هذه الفتن لابد لها من مخرج، والمخرج في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ.

ولكن تفكروا! إن الفتنة بين المسلم والكافر تكون أدلتها عظيمة، بيّنة، واضحة، لِما هنالك من التمايز الواضح بين الإيمان وبين الكفر، فهو تمايز يعادل الفرق بين الليل وبين النهار، لكن قد يقع فيها أقوام ممن عميت بصيرتهم فلم يستطيعوا التمييز بين البياض والسواد ولا بين الليل والنهار! كَذا لم يُميزوا بين الكفر والإيمان.

لكن إذا وقعت الفتنة بين أهل الدين الواحد، وبين أهل الحق! فحينئذٍ يكون التمايز بينهم يسيرًا! من المصيب؟

الواحد منهم يستدل بكتاب الله، كما أن الآخر يستدل بكتاب الله!

والثاني يستدل بسنة النبي ﷺ، كما أن الأول يستدل بسنة النبي ﷺ!

فحينئذٍ يكون الفارق بين الأمرين يسيرًا!

بل إنه ربما تقع المقتلة بين أهل الدين الواحد، ويكون واحد منهما معه شيء من الحق، والآخر أَوْلى بالحق.

كما قال النبي ﷺ في شأن فتنة الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– في المقتلة التي حدثت بين علي –رضي الله تعالى عنه– وبين معاوية.

فانظروا إلى قول النبي ﷺ في شأن الخوارج، قال: (تقتلهم أَوْلى الطائفتين بالحق) وهي طائفة علي –رضي الله تعالى عنه– ومن معه.

يدلّ هذا اللفظ على أن معاوية –رضي الله تعالى عنه– ليس بالخالي من الحق تمامًا، وليس هو بالذي فيه الباطل، ليس فيه الباطل كله! بل عنده شيء من الحق.

واختلاط مقدمات لا قيمة لها في موضوع من هو الذي معه الحق؟ تختلط فيها أمورٌ كثيرة.

فانظروا إلى علي –رضي الله تعالى عنه– وإلى عائشة –رضي الله تعالى عنها– لمّا خرجت هي وطلحة والزبير إلى بلاد الشام؛ ليطالب هؤلاء الجمع بدم الشهيد عثمان –رضي الله تعالى عنه–

وعلي هو الذي تولّى الخلافة ببيعة كبار الصحابة ممن حضر في المدينة، مثل سعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير، ومن حضر من كبار الصحابة كأسامة بن زيد، بايعوا هؤلاء عليًا، وبايع مع هؤلاء الكبار من الصحابة الثوار الذين كانوا البارحة قد أصابوا دم خليفة المسلمين –رضي الله تعالى عنه– عثمان!

فبايعوه وصاروا بعض جنده.

فرأى علي –رضي الله تعالى عنه– أن القيام بالقصاص على قتلة عثمان، يكْتنفُه أمران –أي يمنعه أمران–

الأمر الأول: أن هؤلاء كانوا من الكثرة والقوة بمكان، عندما ناظر الزبير وقال له: لقد رأيتَ يا أبا عبد الرحمن أنه قد ثارت معهم –أي مع الثوار الذين حاصروا ثم قَتلوا– لقد ثارت معهم عُبدانكم –أي العبيد– وفتيانكم وجهلة الأعراب، فصاروا هم الأكثر! والقيام بالقصاص لقتل واحد في مثل هذا الظرف يؤدي إلى فسادٍ أعظم! والقصد من الأمر بالمعروف ومن النهي عن المنكر ومن إقامة الأحكام كالقصاص والحدود إنما هو تحقيق العدل وتحقيق الحكمة، فإذا جرّ هذا إلى ضد العدل وإلى ضد

الحكمة، انقلب هذا الأمر بالمعروف إلى منكر، وانقلب هذا القصاص الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ﴾

فالقصاص حياة! لكن الحياة حينها –أي حين في الظرف الذي وقع فيه– تنقلب إلى موت وإلى فتنة عظيمة! هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني: أنه قد اختلط فيها الكثير من الأمور، وتشعّب أمرها، فمن المشارك؟ ومن المناصر؟ ومن أيّد؟ ومن رفض؟ وتحقيق القاتل من غيره، وتحقيق المناوئ من المناصر، وتحقيق الموافق من غير الموافق شأنه عظيم في تلك الفتنة.

فرأى علي –رضي الله تعالى عنه– وهو المصيب، أنه لابد من تأجيل قضية القصاص، كما أرسل رسالة إلى معاوية، وطلب منه أن يدخل معه في البيعة وفي إمارة المسلمين، أن يدخل في البيعة وأن ينطوي تحت جماعة المسلمين التي بايعت عليًا –رضي الله تعالى عنه– وقال له: وبعد ذلك فَلنقُم بالقصاص من قتلة عثمان! –أي تعال لنتقوّى لنقُم بالقصاص وبإقامة حكم الله عز وجل–

هذان أمران منعا الخليفة الراشد علي –رضي الله تعالى عنه– من أن يقتص من قتلة عثمان.

لكن أولياء الدم رأوا في هذا تقصيرا، وأنه لا ينبغي للرجل أن يُبايَع حتى يقيم حكم الله، فنظروا إلى اختلاط جماعة علي بهؤلاء القتلة، فكيف يقبل؟

فأرادت عائشة –رضي الله تعالى عنها– ومعها كبار الصحابة، ليس معها شذاذُ الآفاق.

انظروا، الذي خرج مع عائشة –رضي الله تعالى عنها– خيار الخيار، وأصفى الخيار

ومع علي –رضي الله تعالى عنه– الخيار، معه خيارٌ عظام، ومختلط مع هؤلاء الخيار أوباشٌ ثوارٌ سفلة قتلة، البارح فرغوا من قتل خليفة المسلمين!

هذا أمرٌ يفتل العقل، ويضيّع الصواب، ويُدخل في إعطاء حكم ما ليس منه!

لو نظرتَ إلى جماعة كلهم على أهل صلاحٍ ودين، والآخرون اختلط فيهم خيرٌ وشر!

ولكن من الذي معه الحق في القضية التي تم فيها الخلاف بين الطائفتين؟

ثانيًا: من الذين في الطرف الآخر من علي؟ إنما هي عائشة –رضي الله عنها– تلك المرأة العظيمة، وعائشة تلك التي مات رسول الله ﷺوهو يجلّها، بل مات وقُبض ﷺ وهو على نحرها، وترنّ في آذانهم قبل وفاة النبي ﷺ سُئل: (من أحب الناس إليك؟) قال: (عائشة) قيل له: (ليس عن أهلك نسألك) قال: (فأبوها)

فهي حبيبة النبي ﷺ، تلك المرأة الفقيهة العالمة المحيطة بالكثير من شؤون الدين.

وإن كان قد ضعّف بعض أهل العلم هذا الحديث وحسّنه البعض الآخر، قوله ﷺ: (خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء) –أي عن عائشة رضي الله عنها–

والشطر الذي يؤخذ منها ما يختص بأمور النساء، وكَذا ما اختصت به من الأخذ عن رسول الله ﷺ.

أليس في هذا من الفتنة؟

وهو –أي في هذا الأمر– وهو تفضيل عائشة –رضي الله تعالى عنها– في هذا الباب، تفضيلها أجنبيٌ عن الأدلة في هذه المسألة.

وقد تنبّه عمار بن ياسر –رضي الله تعالى عنه– إلى هذا حيث قال: (إنّا لنعلم إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها؛ لينظر إياه تطيعون أم تطيعونها)

فتنة عظيمة! أن يُبتلى الرجل.. أن يُبتلى بكافر، أن يطرح كافرٌ عليه الشبهة والتهمة، هذا أمرٌ كشفه يسير!
كيف وهو ينظر إلى كفره، وهو يطرح كفرًا! هذا من دواعي ردّ ما يقول حتى ولو قال حقًا.

لكن أن تأتي عائشة –رضي الله عنها– وتطرح هذا وأن يأتي معها من! اثنان من المبشرين بالجنة، وسماهما رسول الله ﷺ حواريّيه، طلحة والزبير.

وعلي –رضي الله تعالى عنه– فيه شبهة الحكم، أنه هو الحاكم، وهو يطلب حكما، وفيه شبهة التقصير بإقامة الحكم على الثوار والمجرمين، وفيه شبهة إعطاء هؤلاء الكثير من المناصب القيادية في داخل جماعته!

فتنة! ليست كفتنة بين مسلم وكافر يمكن للمسلم أن يكشفها؛ ولذلك افترق الناس إلى طوائف لا يدرون ماذا يصنعون! ماذا يصنعوا؟ أيقاتلوا مع هؤلاء أم مع هؤلاء؟
وخرجت عائشة –رضي الله تعالى عنها– إلى المطالبة بدم عثمان، وحدث ما حدث من المقتلة.

ثم استقل الأمر، وهي فتن كما ترون متتابعة في وقت إقامة الدين ونشر أمره وجريانه في الأرض.

ثم بعد ذلك كانت فتنة الشام مع علي –رضي الله تعالى عنه– وما وقع من قضايا التحكيم ومن رفْع أهل الشام المصاحف على أسنة الرماح.

كل هذا يا أيها الأخوة، يكون معرفة حكم الله الدقيق في هذه المسألة ليس بالأمر اليسير.
وأنتم ترون إلى يومنا هذا والخلاف موجود –لا أتكلم .. الخلاف موجود أي الخلاف بين أهل السنة وبين الروافض الشيعة! ولا بين أهل السنة والخوارج، فالروافض كفّروا الطائفة المقابلة من أهل الشام وارتاحوا! والخوارج كفّروا الطائفتين، وهناك من العثمانية من كفّرت عليًا –رضي الله تعالى عنه– لا أتكلم على هذا الخلاف، فهو خلاف لا قيمة له وهي أقوال تنمّ على الهوى وعلى ضعف الدين وعلى عدم العلم–
لكننا نتكلم عما وقع بين أهل العلم من أهل السنة، في ما هو الصواب؟
وأهل السنة –على الأغلب– اتفقوا على أن عليًا –رضي الله تعالى عنه– هو المصيب؛ لِما صحّ لديهم من أدلة عن رسول الله ﷺ.

ولو جُرّد الأمر يا أيها الإخوة الأحبة، عن هذه النصوص التي سأذكرها في بيان صواب علي –رضي الله تعالى عنه– مقابل الآخر وجاء الناس إلى الفتنة؛ ليقرؤوا أحداثها من داخلها من غير وجود النصوص النبوية لمَا اتفق الناس.
ولكن أهل السنة عُصموا بأحاديث النبي ﷺ مثل الحديث الذي تقدم أمره في شأن ذكر الخوارج حين قال ﷺ: (تقتلهم أوْلى الطائفتين بالحق)
فعلِموا من نص النبي ﷺ أن عليًا هو الذي قاتلهم في النَهرَوانْ –أي قاتل الخوارج– في النَهرَوانْ وهي منطقة اجتمعوا فيها وحاربهم علي –رضي الله تعالى عنه–
فعلِم الناس من هذا النص أن عليًا –رضي الله تعالى عنه– أوْلى الطائفتين بالحق.

وبنصٍ آخر سمعوه من رسول الله ﷺ وسُعدوا به، وهو أن النبي ﷺ وهو يحفر مع أصحابه الخندق وقعت صخرةٌ عظيمة على صدر عمّار، فتصايح الناس أن عمارًا قد قُتل، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه بموت عمار، فقال النبي ﷺ: (تقتله الفئة الباغية)

فعلم الناس بعد أن قتله أهل الشام، أن أهل الشام هم الفئة الباغية.

ثم ما حدث من حوار بين علي –رضي الله تعالى عنه– وبين الزبير في موقعة صفّين، عندما دعى علي –رضي الله تعالى عنه– الزبير.

وطلحة قُتل في صفّين، وأما الزبير فلما حاوره علي، ترك المعركة وخرج إلى وادي الأُسُود، فلحقه رجل فقتله هناك بعد أن ترك القتال.

قال له علي –رضي الله تعالى عنه– وذكّره بما كان يومًا من رسول الله ﷺ حين قال للزبير: (أتحبُ عليًا؟ ثم قال ﷺ: لتقاتلنّه وأنت ظالمٌ له)

فذكّره بهذا، فتذكر الزبير –رضي الله تعالى عنه– وخرج من ساحة المعركة وقُتل في خارجها.

بهذه النصوص علِمنا أن الحق مع علي، ولولا هذه النصوص النبوية، كيف لواحد أن يجزم أن هذا هو الذي معه الحق، وهذا هو المخطئ؟

لبقي الأمر حتى عند أهل السنة على بابه مفتوحًا كلٌ يرجّح

لكن أهل السنة اتفقوا أن عليًا –رضي الله تعالى عنه– هو المصيب.

ثم بعد ذلك ليس معنى أن يقع الصواب في جهة واحد أنه يجوز القتال معه!

هذا أمرٌ عجيب أن يتقنه أولئك الذين لا يتوقفون إلا عند عقولهم!

انظروا إلى الخوارج عندما ناظروا ابن عباس، وقد أرسل علي –رضي الله تعالى عنه– ابن عباس؛ ليناظرهم في أماكنهم.

أرسله إليهم، قالوا: كيف جاز له أن يستحل دماءهم وألا يستحل أعراضهم؟

علي –رضي الله تعالى عنه– قاتل أهل صفّين وقاتل أهل الجمل، والزبير وطلحة قتلا في معركة الجمل، لا في صفّين، وإنما صفّين تلك المعركة التي قامت بينه وبين أهل الشام بقيادة معاوية –رضي الله تعالى عنه–

فقال الخوارج –لم يستطيعوا التمييز بين الأمرين ولا التفريق بين القضيتين–: كيف جاز لعلي أن يستحل دماءهم وألا يستحل أعراضهم!

وأمر الدماء على الجملة أعظم من أمر الأعراض!

فماذا قال لهم ابن عباس –رضي الله تعالى عنه–؟ قال لهم: أيريد أحدكم أن ينقلب بزوجة النبي ﷺ إلى رحلِهِ سبيّة عنده؟

أنتم تريدوا أن تستحلوا من؟

ولو ناظرهم في أبواب أخرى.. ولكن ابن عباس –رضي الله تعالى عنه– كان يناظرهم بالحدث لا بالقضايا الكلية؛ من أجل يُثبت لهم فساد أمرهم كما وقع منه أن قالوا له: لقد تنازل علي عن إمارة المؤمنين.

لمّا وقع الصلح بين الطائفتين على أن ينقلب كل واحد منهم عامًا، ثم بعد ذلك قُتل علي –رضي الله تعالى عنه–

وقع الصلح فكتب علي في ورقة الصلح: هذا ما جرى بين علي أمير المؤمنين وبين معاوية وأهل الشام.
قال له أهل الشام: لو أقررنا لك بالإمارة لَما قاتلناك!
فعلي –رضي الله عنه– مسح كلمة أمير المؤمنين.
فقال الخوارج: لقد مسح علي نفسه وألغى علي نفسه من إمارة المؤمنين فلم يبقى إلا أميرًا للكافرين!

يا أمير مؤمنين يا أمير كافرين!
كما يقول بعض الضُلال اليوم: إما أن تكون في دين الله أو تكون في دين الملك!
فهكذا تصدر الأحكام!

فذكر لهم ابن عباس –رضي الله تعالى عنه– ما جرى لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية عندما مسح النبي ﷺ كلمة: هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله وقريش.
قال له سُهيل ابن عمرو: والله لو أنّا أقررنا أنك رسول الله لمَا قاتلناك.

فانظروا إلى هذين الأمرين، قالوا له: مسح نفسه من إمارة المؤمنين.

وذكر لهم قصة سُهيل، ورجع منهم الكثير وبقي منهم القليل قاتلوهم في النَهرَوانْ، وقُتل عامتهم ولم يبق منهم إلا عشرة توزعوا في البلاد ونشروا دين الخوارج الضال.

القصد أيها الإخوة، انظروا إلى هذا الأمر، كيف يستحلوا الأموال ولا يستحلوا الأعراض؟
فتنةٌ عظيمة! تقع فيها العقول حيرى.

للتفريق بين الأمرين، عندما كان الإمام أحمد–رحمه الله–، يسمع النداء في بيته فيُجيب، –وهو يعلم أن إمام المسجد على دين الجهمية– فهو يُجيب إلى المسجد، ثم يترك الصلاة!
ما قيمة الذهاب إلى المسجد من غير أن تصلي؟
ولكنه كان يقسم الأمرين، بين أن يُجيب المؤذن وبين أن يصلي وراء الإمام، فهذا أمر، كما هو قال: وهذا أمر.

إذن أيها الإخوة، علي –رضي الله تعالى عنه– كيف يقاتل هؤلاء، وعلي أي دين يقاتلهم بمثل هذه الفتنة التي وقعت بين الناس؟
من الذي يستطيع أن يقدّم من المصيب؟
كما قلنا لولا النصوص النبوية الجازمة بصواب علي، لبقيت الفتنة على مدارها مفتوحة.
صوّب أهل السنة أن الحق مع علي، لكن هذا التصويب أن يكون الحق مع واحد لا يعني أنه يجوز أن تقاتل معه.

ولو جئنا إلى عقل صغير أو عقل لا يفهم في دين الله عز وجل، لرأى أن الأمر متعارض!: كيف هذا يقاتل هذا وأنت تقول أن الحق مع الأول، فكيف لا تقاتل معه.

ولكن جماعة من أهل السنة –بل هم الكبار– وهو اختيار عظماء المسلمين في زمان علي إلى يومنا هذا، أن الحق مع علي ولكن لا ينبغي بل الأفضل أن لا يُقاتَل معه.

وعلى هذا قول سعد بن أبي وقاص –رضي الله تعالى عنه–.

ولم يكن يومها أحد أفضل من سعد إلا علي، هو وعلي بقية الخيار العشرة من أصحاب النبي ﷺ.

جاءه ابنه، عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي شارك في الفتنة، جاءه وقد تعرّض –سعد بن أبي وقاص خرج إلى الأعراض خرج إلى البادية– فجاءه ابنه وهو يلوط بمكان ماء ليسقي إبلَه، قال له: يا أبي الناس يقتتلون على الملك وأنت هاهنا مشغول بسقي الإبل!

فلطمه –ضربه على صدره– قال: إليك عني، فإني عهدتُ لرسول الله ﷺ ألا أضرب بسيفي إلا مشرك.

ولمّا قيل لسعد بن أبي وقاص ألا تقاتل إنك من أهل الشورى وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيفٍ له عينان ولسان وشفتان يعرفُ المؤمن من الكافر، فقد جاهدتُ وأنا أعرفُ الجهاد.

وترك القتال.

ومحمد بن مسلمة من كبار أصحاب النبي ﷺ اعتزله، عبد الله بن عمر اعتزله، مع علمهم بصواب علي، ولكنهم لم يكونوا يرون أنه بمجرد صوابه أنه يجوز له أن يقاتِل، أو أنه يجوز للناس أن يناصروه؛ لما يجرّ ذلك من الفتن العظيمة.

وبعض الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– وهم قلة رأوا المشاركة في قتال علي –رضي الله تعالى عنه–

حتى قال الشعبي –وهو رجل متّهم بالتشيع– بل كان من الخشبية –كما ذكر عن نفسه–

قال: والله ما ازداد علي –رضي الله تعالى عنه– بقتال أهل الشام فضلا.

بخلاف قتال علي –رضي الله تعالى عنه– للخوارج فهو قتال ممدوح، مدحه النبي ﷺ بقوله: (تقتلهم أوْلى الطائفتين بالحق)

وقوله ﷺ: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)

فهذه الأمور من الفتن الدقيقة التي تقع بين المسلمين، لا يقف لها إلا الرجال.

وقولنا إن الفتن مخرجها هو كتاب الله وسنة النبي ﷺ ليس معنى ذلك أنه يستطيع كل واحد أن يدرك الصواب فيها وأن يدرك الحق فيها، بل تتفاوت النفوس في هذا، ولكل وجهة هو مولّيها فاستبقوا الخيرات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وفي هذا أيها الإخوة الأحبة، على أن أمر الفتن هي التي تحصحص الرجال، وتبيّن منازلهم، وفي هذا ينبغي على المرء أن يتعلم دين الله عز وجل وأن يفقهه، لا أن يقرأه قراءة المثقف، ولا أن يبصر به إبصارًا مجملا، بل لابد أن يكون عالمًا به، دقيقًا في فهمه له؛ لئلا تغرّه الشبهات، فالشُبه قاتلة وكثيرة والكل يحسنها، ولكن الوقوف مع كتاب الله ومع سنة النبي ﷺ وما وقع من أصحاب النبي ﷺ كل هذا أيها الإخوة الأحبة، يقوي في الواحد منا أن يعرف الصواب، أن يعرف الحق، وكما قال شيخ الإسلام –عليه رحمة الله–: ليس الفقه أن تعرف الخير من الشر.

لأن الواحد من الناس يعرف الخير من الشر، بل إن بعض الدواب لتميز بعض المنازل بين الخير والشر، بين السرقة وبين الهدية، هذه تميزها حتى الدواب! وهي تميز بين ما يضرها وما ينفعها من الأطعمة، فإن معرفة الخير من الشر على الجملة يعرفه أكثر الناس.

حتى الذين يكفرون بالخير، هم يعرفونه في قلوبهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾

وكما قال الله عز وجل: ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ أي: يكذبونك ظاهرًا وأما قلوبهم فمستيقنة بمعرفة الصواب.

إذن ما هو الفقه؟

الفقه: هو معرفة خير الخيرين، أن تعرف خير الخيرين، وأن تعرف شر الشرين.

يكون كلاهما خير وأن تميز بين خير الخيرين، أو أن يكون كلاهما شر وأن تميز بين شر الشرين.

وبهذا يتميز الفقيه من غيره، وبهذا يتميز العلماء الربانيون عن غيرهم ممن لا يحطيون به.

وربما يكون العالم الرباني يده في يد الله عز وجل ومع ذلك يخطئ في هذا الباب، فهذه من الأدلة الأجنبية التي تختلط على أذهان كثير من الناس.

كما جاء رجل إلى علي –رضي الله تعالى عنه– وقال له: أتظن أني أتابعك وأترك طلحة والزبير؟

فماذا قال له علي؟ –هذه موازنة بين رجلين، طلحة والزبير رجلان مشهودٌ لهما بالجنة! وأما أنت فواحد–

فقال له علي –رضي الله تعالى عنه– في كلمة طويلة ثم قال له: لا يُعرف الحق بالرجال، إنما يُعرف الرجال بالحق.

أي الرجال لا يلتصقوا برجل إلا برسول ﷺ، وأما اجتماع الحق مع الرجل فليس بلازمٍ لأحدٍ من الناس، وإن الرجل ليده بيد الله عز وجل ويقع في الفتنة!

وهذه أمنا عائشة! يقول عمّار: "إنّا لنعلم إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها؛ لينظر إياه تطيعون أم تطيعونها"

فبهذا يتبين أيها الإخوة الأحبة، أن وقوع الفتن تحتاج إلى إدراكٍ عميق وإلى خروج عن الهوى، وإلى تبرؤ من الشهوة وإلى إبصار دقيق في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ، وهذا هو أمر تاريخ هذه الأمة، وهذه الفتن هي ابتلاء؛ لرفع الدرجات وتميّز الناس وابتلاء الخلق؛ من أجل أن يعلم الرب سبحانه وتعالى ممن يكون على الحق أو ممن يتبع الهوى.

نسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يستر عيوبنا وأن يرحمنا برحمته وأن يوفقنا إلى هدايته

نسأله سبحانه وتعالى أن يرحمنا بما رحم به عباده المؤمنين والصالحين وأولياءه وعلماء هذا الدين يا أرحم الراحمين

اللهم اغفر لنا وارحمنا ووفقنا وأسعدنا وارزقنا الشهادة في سبيلك، وانصر المجاهدين في سبيلك وأيدهم بتأييدك، وفكّ أسر المأسورين يا أرحم الراحمين.